Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

النصوص الحديثيَّة في التراث الأدبي العربي
كتاب ألف ليلة وليلة أنموذجاً
دراسة وتخريج

حيدر قاسم مَطَر التميمي

أستاذ مساعد

بيت الحكمة- قسم الدراسات التاريخية

بغداد

haidarq2005@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٠٦/١١

تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢٠/٠٢/١٨

النصوص الحديثيَّة في التراث الأدبي العربي، كتاب ألف ليلة وليلة أنموذجاً دراسة وتخريج

حيدر قاسم مَطَر التميمي

الملخص

تأتي دراستنا بأهميةٍ جديرة بالتنويه والتشريف، كونها حاولت الجمع أثناء دراسة الموضوع بين تخصصين: تخصص الأديب، وتخصص المُحدِّث، وهذا نادر في الدراسات الجامعية والأكاديمية، لشيوع ظاهرة التخصص عليها ووسمها بطابع الأُحادية في البحث، المتمثل في التقوقع والانزواء ضمن التخصص المُنضوي تحت لوائه، وهذا واضحٌ جلي في عنوان الدراسة الموسوم بـ: (النصوص الحديثيَّة في التراث الأدبي العربي.. كتاب ألف ليلة وليلة أُنْمُوذَجاً.. دراسةٌ وتخريج). خطَّة البحث: ضمَّنا هذه الدراسة إلى جانب المقدمة مبحثين وخاتمة، فأمَّا المبحث الأول من الدراسة والمعنون: (الحديث النبوي وتوظيفه في مصادر الأدب العربي)، فهو الذي وضحنا فيه السِّمات اللغوية المتميزة للحديث النبوي، وما اتصف به من إتقانٍ جعله ثاني مصادر الأدب العربي، مبرزين كيف أنَّ هذا الأخير ما تطور ووصل إلى ما وصل إليه من سموٍّ الدرجات العُلى إلَّا بفضل اعتمادهِ وتمثلهِ بمُصطلحات ومنهجية النَّبيِّ الأكرم (ﷺ) في حديثه. أمَّا المبحث الثاني الذي يُعد جوهر دراستنا ولُبَّها، (النصوص الحديثيَّة في كتاب ألف ليلة وليلة.. دراسة وتخريج). فبعد قراءةٍ شاملة ودقيقة لكتاب الليالي، استخرجنا كلّ ما ورد فيه من أحاديث نبوية أو منسوبة للنبيِّ (ﷺ)، وتصنيفها وتخريجها بحسب القواعد العلمية الرصينة، واعتماداً على أمَّهات كتب الحديث ومسانده وصحاحه. إلَّا أننا عَمَدنا إلى بيان ما ورد من أحاديثٍ ذُكرت في الجزء الأول من الكتاب – الصادر بأجزاءٍ أربعة بحسب الطبعة التي اعتمدناها – حرصاً على عدم الإطالة، بسبب كثرة الأحاديث الواردة فيه.

الكلمات المفتاحية:الحديث النبوي، الأدب العربي، ألف ليلة وليلة.

Hadith texts in Arab Heritage “One Thousand and One Nights” as a model.. Study and analysis

Haidar Qassim M. Al-Tamimi

Abstract:

This study is important because it sought combining two specialties: the writer and the ḥadith teller, and this is rare experience in the academic studies which are best known for its uni-search.Search plan: this study consists of introduction, tow chapters and the conclusion.First chapter’s title (The Ḥadith and its use in Arabic literature resources), contains the ḥadith unique linguistic characteristics, its perfection which made it the second resource of Arabic literature, as all this superiority came due to idoms and methodology of Prophet Muhammad (PBUH). Second chapter’s title (Ḥadith texts in One Thousand and One Nights.. study and analysis), which is the core of this study, i extrated from that book all the Prophet’s sayings, classified its scientifically based on the ḥadith books. I hope this study would be constitutive research of what could be named a branch of old project in the ḥadith critique, which addresses the Arabic literature books and its ḥadiths.

Keywords: Ḥadīth; Arabic literature; One Thousand and One Nights.

مقدمة:

الحمد لله موفق الطَّالب، إلى أسنى الآمال والمطالب، خصوصاً بعد تصحيح النيَّة في الأعمال والمكاسب، والصلاة والسَّلام على المبعوث للناس رحمةً، والداعي لطالب العِلم بالبركة والنِّعمة، وعلى آلهِ مصابيح الهدى في جبين هذهِ الأمَّة.

أمَّا بعد، فقد صوبنا الوجهة في دراستنا هذه للمعرفة الحديثيَّة، مطالعين فيها ما شاء الله أنْ أطالع، محاولاً إيجاد الثغرة التي تستحق الملء، فبينما أنا في تتبع سُبُل المعرفة بهذا المجال، وما جرى فيه من تواصلٍ ووصال؛ عِبرَ رحلاتٍ علمية بين الشرق والغرب أفضت إلى استيراد مجموعةٍ من الكتب والأبحاث الرائدة في هذا المجال.

وما أنْ تقرر العزم حتَّى رأيت نفسي مُنساقاً للبحث فيما كُتِب من مؤلَّفاتٍ في الأدب العربي المشرقي، وتتبع موادها وأبوابها، فوقع الاختيار على كتاب (ألف ليلة وليلة) كونه من أشهر الكتب في هذا الفن وأوسعها حجماً، وهو جامعٌ للمادة الحديثيَّة التي قد تكون متناثرةً في باقي الكتب الأخرى، وكلَّ الصيد في جوف الفرا، وكذلك حتَّى تكون دراسة النصوص الحديثيَّة في كتب هذا الفن لها نوع من الشمول، ونتيجتها تأتي من باب الاستقراء Inductive reasoning.

وللعلم، فإنَّ لهذا البحث أهمية جديرة بالتنويه والتشريف؛ لأنَّه حاول الجمع أثناء دراسة الموضوع بين تخصصين: تخصص الأديب، وتخصص المُحدِّث، وهذا نادر في الدراسات الجامعية والأكاديمية، لشيوع ظاهرة التخصص عليها ووسمها بطابع الأُحادية في البحث، المتمثل في التقوقع والانزواء ضمن التخصص المُنضوي تحت لوائه، وهذا واضحٌ جلي في عنوان البحث الموسوم بـ: (النصوص الحديثيَّة في التراث الأدبي العربي.. كتاب ألف ليلة وليلة أُنْمُوذَجاً.. دراسةٌ وتخريج).

خطَّة البحث: ضمَّنا هذهِ الدراسة إلى جانب المقدمة مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول من الدراسة والمعنون: (الحديث النبوي وتوظيفه في مصادر الأدب العربي)، فهو الذي وضحنا خلال السِّمات اللغوية المتميزة للحديث النبوي، وما اتصف بهِ من إتقانٍ جعله ثاني مصادر الأدب العربي، مبرزين كيف أنَّ هذا الأخير ما تطور ووصل إلى ما وصل إليه من سموٍّ الدرجات العُلى إلَّا بفضل اعتمادهِ وتمثله بمُصطلحات ومنهجية النَّبيِّ الأكرم (ﷺ) في حديثه.

أمَّا المبحث الثاني الذي يُعد جوهر دراستنا ولُبَّها، (النصوص الحديثيَّة في كتاب ألف ليلة وليلة.. دراسة وتخريج)، فبعد قراءةٍ شاملة ودقيقة لكتاب الليالي، استخرجنا كلّ ما ورد فيه من أحاديث نبوية أو منسوبة للنبيِّ (ﷺ)، وتصنيفها وتخريجها بحسب القواعد العلمية الرصينة، واعتماداً على أمَّهات كتب الحديث ومسانده وصحاحه، إلَّا أننا عَمَدنا إلى بيان ما ورد من أحاديثٍ ذُكرت في الجزء الأول من الكتاب – الصادر بأجزاءٍ أربعة بحسب الطبعة التي اعتمدناها – حرصاً على عدم الإطالة، بسبب كثرة الأحاديث الواردة فيه.

آملين من دراستنا هذهِ أنْ تكون بمثابة بحثٍ تأسيسي لِمَا يمكن تسميته بفرعٍ من مشروعٍ قديم، يتمثل في نقد الحديث وتنقيته من كلِّ دخيلٍ وموضوع، يهتم بدراسة وفحص كتب الأدب العربي عامَّة وإحصاء الأحاديث النبوية الواردة فيها، ثمَّ العمل على تخريجها ونقدها وتصنيفها ما بين صحيحٍ وضعيف. والله المُستعان.

منهج البحث: ويمكن تقسيمه إلى قسمين: منهج عام ومنهج خاص.

المنهج العام: وأقصد بهِ المنهج الذي طبع البحث من أولهِ إلى آخرهِ، ويتمثَّل إجمالاً فيما يلي:

١. الموضوعية Objectivism: برغم محاولتي جاهداً أنْ يكون بحثي أكثر موضوعيةً في التناول والمعالجة، بحث لا يشوبه استطراد ممل، أو تقصير مخل، إلَّا أنني أترك الحكم في هذهِ النقطة إلى متلقِّي البحث.

٢. الاستقراء: فمثلاً طالعت في الدراسة جُلَّ كتب التراجم المتعلِّقة بالأدباء والشعراء العرب والمسلمين، من أجل معرفة أدباء المشرق الإسلامي وأحوالهم، وكتبهم وأوضاعهم، على سبيل التتبع والاستقصاء؛ كي أبلغ ما أرجوه لهذا البحث من السناء والارتقاء.

ثمَّ طالعت أبرز الكتب الأدبية لتتبع منهجها في إيراد الأحاديث وتقديمها، حتَّى أتمكن من صياغة منهج يُقتفى في هذا المجال، ولو على سبيل التقريب والإجمال، أمَّا الاستيفاء فهو مشروعٌ نرجوه في مستقبل الأيام، عدا كتاب ألف ليلة وليلة الذي قرأته بنوعٍ من الشمول والتوسع.

٣. النقد النزيه Criticism: مع أنني كنت أُسلِّط مسبار النقد العلمي على ما يعترضني من المسائل المخالفة للصواب، مع سلوك سبيل النزاهة والتجرد، إلَّا أنني أترك الحكم في هذهِ النقطة إلى متلقِّي البحث.

المنهج الخاص: والمقصود بهِ تخريج الأحاديث، وقد مرَّ عِبرَ الخطوات الآتية:

١. استخرجت منه كلَّ الأحاديث أو الأخبار المبثوثة في لياليه وحكاياته.

٢. أثبت الحديث موثَّقاً بالجزء والصفحة، بعد ذكر رقمه التسلسلي، في إطار الجزء أو الليلة أو الحكاية التي ورد فيها. ثمَّ أعقبه بالتخريج.

٣. خرَّجت تلك الأحاديث وفق المنهج المسلوك عند المُحدِّثين منذ قرون. والمتمثل في مراعاة الاعتبار والشواهد والمتابعات والترجيح والموازنة.

المبحث الأول:

الحديث النَّبوي وتوظيفه في مصادر الأدب العربي

يُعد الحديث النبوي الشريف المؤثر الأساسي – بعد القرآن الكريم – في الأدب العربي كلَّه عامَّة وفي النثر خاصة، ثمَّ أنَّ الخطابة هي ذاك الجنس الأدبي الذي اعتمده النَّبي (ﷺ) في نشر دعوة الإسلام ومن بعدهِ أئمَّة الهدى من أهل بيتهِ وخلفاؤه إتباعاً له، ويتبع سنَّته المسلمون حتَّى عصرنا الراهن.

إلَّا أنَّه وفي زمنٍ أسبق للدعوة الإسلامية – العصر الجاهلي – كان الشعر هو السائد دون منافسٍ على الأجناس الأدبية الأخرى، ومنها: الخطابة والحِكم والأمثال وغيرها، مفضَّلاً عليها ومُقدَّم؛ ذلك أنَّ العرب قبل الإسلام كانوا قد أَلِفوا ما للشعر من تأثيرٍ عميق في قلوب السامعين دون النثر، ويحسن هنا أنْ نذكر كلام ابنِ سلَّام (١٥٠-٢٣٢هـ/٧٦٧-٨٤٦م) الذي يعرض فيه أهمية الشعر في المُجتمع العربي، قائلاً: "وكان الشعر في الجاهليَّةِ ديوانُ عِلْمهم، ومُنتهى حكمهم، بهِ يأخذون، وإليه يصيرون. وقال ابن عوف، عن ابن سيرين، قال: قال عمر بن الخطَّاب: كان الشعرُ علْم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه – قال ابن سلَّام – فجاء الإسلام، فتشاغَلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزوا فارس والروم، ولَهِيَتْ عن الشعر وروايتهِ، فلمَّا كثُر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنَّت العربُ بالأمصار، راجعوا روايَة الشعر، فلم يَئِلوا إلى ديوانٍ مُدَوَّن، ولا كتابٍ مكتوب، وذهب عنهم منه أكثره" (الجُمَحي، ٢٠٠١: ١/٣٤؛ شاكر، ١٩٩٧: ٩٢-١٠٢).

ومن القضايا المُتعلِّقة بالشعر الجاهلي كذلك، ما قيل عن مكانة الشاعر في ذلك العصر، فقد ذكر ابن رشيق (٣٩٠-٤٥٦هـ/١٠٠٠-١٠٦٤م) في هذا الموضوع: "كانت القبيلة من العرب إذا نَبَغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنَّه حماية لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلَّا بغلام يولد، أو شاعرٍ ينبغ فيهم، أو فرسٍ تُنتج" (ابن رشيق، ١٩٨١: ١/٦٥)، واستناداً إلى هذا النص، يتبيَّن لنا أنَّ الشاعر الجاهلي كان يحتل مكانةً مميَّزة تُكسبه الحب والحماية أكثر من البقيَّة، فهو بمنزلةٍ تفوق بقيَّة الأفراد، لتكون وظيفته الأساسية هي أنْ يصبح لسان القبيلة، يدافع عنها، ويحميها، ويتغنَّى بأمجادها وأنسابها، ويُخلِّد جميل أعمالها، ويحمي شرفها، وبذلك يكون الشعر مرآة تنعكس عليها الصورة المثالية للجماعة القبلية (بلَّا، ١٩٩٧: ٨٧).

ومن منزلة الشاعر العظيمة بين قبيلتهِ تظهر لنا أهمية الشعر، فقد كان ديوان العِلم، ومُنتهى الحكمة، يأخذون بهِ، ويوثِّقون فيه، لِمَا فيه من وقع وتأثير في نفوس القبائل الأخرى، لترتقي منزلة الشاعر من لسان القبيلة إلى حكيمها، فيرضون بما يرضى، ويحكمون بما يحكم، ومن هؤلاء الشعراء: الشاعر عمرو بن كلثوم، والنابغة، والحارث بن حلزة اليشكري، إلَّا أنَّ هذهِ المكانة العظيمة للشاعر لم تستمر طويلاً، إذ تغيرت بتغير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، لاسيَّما بعد نشأة الطبقات الثرية في المُجتمع القبلي، فتحولت العلاقة بين الشعراء وسادة القبائل إلى علاقةٍ ربحيَّة، وامتاز الشعراء بالعطايا الوفيرة كلَّما كانت القصيدة أجود، وبدأ الشعر بتغيير مساره من وظيفةٍ قبليَّة تهدف إلى حماية العشيرة والدفاع عنها وذكر خصالها الحميدة إلى صنعةٍ يسعى الشاعر فيها وراء المال والسلطة والجاه، مُتنقِّلاً بين البلاد، وبذلك، ظهرت سِمَة التكسُّب، وساعد في ذلك التنافس الكبير بين زعماء القبائل، والملوك في توظيف أكبر الشعراء وأفضلهم لتأكيد مصالحهم والدفاع عن سمعتهم (عصفور، ٢٠٠٥: ١١٤-١١٥).

تغيرت الحال بالنسبة للشعر، وتراجعت مكانته أمام مجالات الأدب المختلفة بعد نزول القرآن الكريم وبعثة النَّبي المصطفى (ﷺ)، ليتمكَّن القرآن والحديث النَّبوي أنْ يستحوذا على المكانة التي كان قد احتلها الشعر من قبل، ما سبَّب تغليب الخطابة وباقي صنوف الأدب وتقدمها، داعمةً إياها جملة من العوامل لعلَّ في مقدمتها ما كان (ﷺ) يتمتَّع بهِ من شخصيةٍ عظيمة، وفصاحةٍ، وبلاغةٍ، وذكاء نفَّاذ، أثرت – جميعها – في تنشيط فنِّ الخطابة على وجه الخصوص، ليُرسي (ﷺ) لها أصولاً ومبادئ، بات لا مفرَّ منها ولها لأيِّ خطيبٍ برز بعده، حتَّى صار خلافها عيباً دينياً أو أدبياً على سواء.

الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي.

للسُّنَّة النبوية أثرٌ واضحٌ وجلي على جميع صنوف الأدب العربي وفروعهِ، ومنها الخطابةِ والقصة والأمثال والرسائل... سواءٌ لِمَا سبق بيانه من خصائص ومزايا ومكانة حديث رسول الله (ﷺ)، أم لِمَا سيتم تفصيله قادماً، والتزاماً منا بالإيجاز والابتعاد عن الإطناب والخروج عن موضوع الدراسة الرئيس، ارتأينا أنْ نتناول موضوع الخطابة وتأثرها بالحديث النبوي الشريف، أنموذجاً لفنون الأدب العربي وصنوفهِ المختلفة.

أولاً: الافتتاح وبراعة الاستهلال.

إنَّ من أهمِّ أساليب الإقناع المقدمة، لِمَا لها من أثرٍ فعَّال في جذب انتباه السامعين واستمالتهم، وحملهم على ما يريد منه الخطيب (ثابت، ١٤١٧هـ: ١١٤)، وقد كان خطباء عرب ما قبل الإسلام يبدأون بالموضوع مباشرةً، مجرَّداً عن المقدمة أو التمهيد، مستعملين عبارات: أيُّها الناس، أيُّها الملك، يا معشر، وما شاكل ذلك، فهذا الخطيب المشهور قسَّ بن ساعدة الإيادي (المتوفَّى نحو ٦٠٠ للميلاد) يفتتح إحدى خطبهِ التي ألقاها في سوق عكاظ بواحدةٍ من هذهِ العبارات، قائلاً: "أيُّها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلَّ ما هو آتٍ آت..." (صفوت، ١٩٢٣: ١/٣٥-٣٦)، كما قال هانئ بن قبيصة الشيباني، أحد مشاهير خطباء العرب: "يا مَعشَر بَكر، هالكٌ مَعذُورٌ، خَيرٌ من نَاجٍ فَرُورٌ، إنَّ الحَذَرَ لا يُنجِي مِنَ القَدَرِ، وَإنَّ الصَّبرَ مِن أسبابِ الظَّفَرِ..." (صفوت، ١٩٢٣: ١/٣٧).

أمَّا في الإسلام، فقد فتح لنا رسول الله (ﷺ) باباً جديداً في افتتاح الخطب، وسنَّ لنا سُنَّةً فيها ما زال المسلمون يتَّبعونها، فأضاف إلى بداية الخطابة كلمة التمجيد والتحميد لله (ﷺ)، والثناء عليه ما هو أهله، والتسليم والصلاة على النَّبي وآل بيتهِ الأطهار، وكما يقول ابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ/٨٢٨-٨٨٩م) في ذلك: "تتبَّعتُ خُطَبَ رسول الله (ﷺ)، ووجدتُ أوائل أكثرها: الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ" (الدينوري، ٢٠٠٢: ٢/٦٢٣)، إلى غير ذلك من أمثلة العبارات الافتتاحية التي كان رسول الله

(ﷺ) يعتمدها في ديباجة خطبهِ الشريفة ومطلعها، فالتزم الخطباء في صدر الإسلام أنْ يفتتحوا خطبتهم بما افتتح بهِ نبيَّهم، حتَّى سُمِّيت الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد والثناء على الله (ﷺ) والصلاة والسَّلام على رسولهِ بـ(البتراء)، كما يصف الجاحظ ذلك، بقولهِ: "وعلى أنَّ خطباءَ السَّلفَ الطيِّب، وأهلَ البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمُّون الخطبةَ التي لم تَبتَدئ بالتحميد، وتُستَفتح بالتمجيد: "البتراء"" (الجاحظ، ١٩٩٨: ٢/٦).

ثانياً: الاقتباس من القرآن الكريم.

يُعد القرآن الكريم المصدر الفني للأدب النَّبوي من أولهِ إلى آخرهِ، ذلك أنَّه (ﷺ) كان مهبط الوحي، تلقَّى القرآن نجماً نجماً طوال حياتهِ النبوية، فكان أول قارئ، وأول حافظ، وأول مؤمنٍ بهِ، حتَّى أصبح القرآن جزءاً لازماً من حياتهِ، وهذا ما دعا السيدة عائشة (ﷺ) أنْ تصف خلقه (ﷺ)، بقولها: "فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ (ﷺ) كَانَ القُرآنَ" (مسلم، ٢٠٠٧: ٣٤٥، حديث رقم (١٧٣٦)؛ ضيف، ١٩٦٣: ١١٤-١٢١).

وقد أثَّر القرآن الكريم في خطبهِ تأثيراً كبيراً، وهذا من شدَّة تأثرهِ (ﷺ) بالقرآن أنْ يُشوِّق الآخرين إليه، ويُشجعهم على قراءتهِ، واختياره على ما سواه من أحاديث الناس، فيقول (ﷺ) في إحدى خطبهِ بعد الحمد والثناء: "إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، فَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللهُ، أَحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللهُ خِيرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" (صفوت، ١٩٢٣: ١/٥٣-٥٤).

ونجد أيضاً للقرآن أثراً واضحاً في معاني خطبهِ (ﷺ)، إذ يقول في إحداها: "إِنَّ لَهُنَّ [أي: لنسائِكُم] عليكم، ولكم عليهُنَّ حقًّا" (ابن حنبل، ٢٠٠٠: ٣٤/٢٩٩-٣٠١، حديث رقم (٢٠٦٩٥)).

فتابع الخطباء نبيَّهم (ﷺ) وأخذوا ينهجون نهج القرآن في الاستدلال، إذ وجدوا فيه أبلغ طرق الإقناع الخطابي، فقد اجتمع في أدلَّة القرآن الكريم ما لا يمكن أنْ يجتمع في أدلَّة سواها، فتأثروا بطريقتهِ، واقتبسوا من عباراتهِ وشاع بينهم الاقتباس منه؛ حتَّى كان من مزايا الخطبة أنْ تكون مشتملةً على شيءٍ من القرآن الكريم (أبو زهرة، ١٩٣٤: ٢/٥٠)، وحتَّى كان فيهم من جعل خطبته برمَّتها مجموع آياتٍ من القرآن (زيدان، د.ت.: ١٩١-١٩٢).

وقد بلغ تأثير القرآن في الناس إلى حدٍّ أنَّ الاقتباس منه أصبح معيار قيمة الخطبة، وتجرُّد الخطبة عنه أو خلوِّها منه صار عيباً شنيعاً؛ لذا كان العرب يُسمُّون الخطبة التي لم تتزيَّن بالقرآن ولم تتحلَّ بالصلاة على النَّبيِّ (ﷺ) بالشَّوهاء (الجاحظ، ١٩٩٨: ٢/٦). وبالإضافة إلى النقطتين السابقتين، فقد كان للنهج النَّبوي أثرٌ واضحٌ وجلي على فنِّ الخطابة عند العرب في أبوابٍ ومجالاتٍ أخرى متعددة، نذكرها تعداداً بنيَّة الاختصار وعدم الإطالة في شرحها وبيان تفصيلها، منها ما كان للنَّبيِّ (ﷺ) من أثرٍ واضح في ابتكار فنِّ الخطابة الدينيَّة، بعدما كانت الخطابة في العصر الجاهلي تدور حول موضوعاتٍ قليلة، أهمها المنافرة والمفاخرة والنُّصح والإرشاد... وكما أنَّ افتتاح الخطبة كان من المفاصل المهمة والرئيسة في بُنيتها البلاغية والتكوينية، كذلك كان الأمر بالنسبة للختام، فكان رسول الله (ﷺ) يختتم خطبه إمَّا بدعاء، ومنها خطبته التي ألقاها عن الأنصار، قائلاً في ختامها: "اللَّهُمَّ ارحَمِ الأنصَارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ" (ابن حنبل، ٢٠٠٠: ١٨/٢٥٣-٢٥٥، حديث رقم (١١٧٣٠))، أو بسلام، ومنها خطبة حجَّة الوداع، التي ختمها (ﷺ) بقولهِ: "وَالسَّلامُ عَليكُم ورَحمَةُ الله" (الجاحظ، ١٩٩٨: ٢/٣٣)، وضع النَّبي (ﷺ) هذا الشكل الجديد للخطابة وطبَّقها مدَّةً طويلة، واتَّبعه أصحابه المُنتجبين الذين كانوا يتبعونه في كلِّ شيءٍ، فقلَّد الخطباء والعلماء والدُعاة بعد عصر صدر الإسلام هذهِ العادة في خطبهم حتَّى اليوم.

كذلك فإنَّ من مظاهر اهتمام رسول الله (ﷺ) بالخطابة أنْ جعلها جزءاً لازماً من حياة المسلمين، مقرراً خطباً أسبوعيةً، أهمها خُطب الجمعة، وخطباً سنوية ومنها: خُطب الأعياد ومواسم الحج، ومن الواضح أنَّ ذلك ساعد كثيراً على ازدهار فنِّ الخطابة، وأسهم إسهاماً كبيراً في توسيع ميادينه.

ومما تقدم، يمكننا القول إنَّ النثر العربي الطبيعي المُرسل قد أصبح يفيض وينطلق في ظلِّ الإسلام الظليل عن عاطفةٍ قوية، وحماسةٍ يؤججها ويدفعها إيمانٌ قوي عميق، ورسالةٍ خالدة باقية نامية؛ مما جعل هذا الأدب المتين أداة قوية ومؤثرة نافذة للتعبير والبيان والملام الساحر الذي يضرب على الوتر الحسَّاس لنبع حياة البشر، وهذا الأدب المُحكم المتين يُضاد زعم كثيرين من دارسي اللغة العربية، لِمَا ساد عنهم في الأوساط الأدبية والعلمية فكرة حدوث الضعف والركاكة والفتور في ميدان الأدب العربي، ولاسيَّما قريض الشعر الرائع البليغ أثناء فترة النبوَّة والخلافة وصولاً حتَّى عام ٤٠ للهجرة، ويذهبون في تعليل ذلك مذاهب مختلفة، كما يهملون جانب النثر العربي وقتذاك، ولا يكاد أحدهم يلتفت إلى الأمر الواقع الذي بيَّنا شذرات يسيرة منه في الصفحات القليلة السابقة.

المبحث الثاني:
النصوص الحديثيَّة في كتاب ألف ليلةٍ وليلة
دراسة وتخريج

من أهمِّ أبواب الدراسات الشعبية التي نالت من جهود العلماء قسطاً وفيراً، وسار بها الباحثون في ميدان التقدم العلمي أشواطاً بعيدة باب المُعتقدات، فلئن حظي القَصَص لسهولتهِ ولذَّة قراءتهِ بعنايةٍ وفيرة من علماء الفنون الشعبية جمعاً ودَرساً لقد حظيت معتقدات الشعوب والقبائل بعنايةٍ لا تقل كثيراً عن العناية بالقَصَص.

فجمع لنا العلماء، ولعلَّ أشهرهم الأنثروبولجي الاسكتلندي جيمس جورج فريزر Sir James George Frazer (١٨٥٤-١٩٤١م)، في مجلَّداتٍ ضخمة معتقدات شعوبٍ مختلفة وقبائل

عديدة على مرِّ العصور، ولعلَّ هذا المؤلِّف نفسه أبرز من اهتمَّ بمقارنة هذه المعتقدات وجمعها جمعاً يفيد الباحث في موضوعٍ بعينه من مواضيع الدين وما يتصل بالدين من معتقدات، وأمثال فريزر الذي ألَّف كتباً ضخمة في هذه الموضوعات منها ما كان في عشرين مجلَّداً، ومنها كتاب (الغصن الذهبي) (Frazer, Sir James George, The Golden Bough: A Study in Comparative Religion, New York: MacMillan and Co., 1894) كثيرون، جمع بعضهم كما فعل فريزر معتقدات شعوبٍ وقبائل مختلفة، ودَرَس البعض الآخر قبيلة أو قبائل بعينها واستخرج من درسه نظرياتٍ في أصل المعتقدات وفلسفتها كما فعل الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم David Émile Durkheim (١٨٥٨-١٩١٧م) في كتابه: (Les Formes élémentaires de la vie religieuse : le système totémique en Australie, 1912)، وكما فعل الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي، ليفي برل Lucien Lévy-Bruhl (١٨٥٧-١٩٣٩م) في كتابه: (La mentalité primitive, 1922).

بل إنَّ الجمع والدَرس في هذا الباب قد أديا إلى بعض النتائج القريبة التي تفوق نتائج دراسة القصص من حيث الدقَّة والشمول؛ ذلك أنَّ الموضوع محدد نوعاً ما، والمعالم فيه أبين وأوضح، ولعب الخيال به – مهما تنوع – ليلتقي في نقطٍ كثيرة متشابهة موحدة. وأهم ما ساعد على تحديد الموضوع مادته، فالقصَص ميدانه واسعٌ فسيح – حياة الإنسان بكلِّ مظاهرها، أمَّا المعتقدات فقد اتصلت بناحيةٍ معينة من نواحي حياة الإنسان وتشعَّبت في نقطةٍ بعينها من هذا الإنسان وهي الروح (القلماوي، ١٩٧٦: ١٦١-١٦٢).

وجاء النَّبيُّ المُصطفى (ﷺ) فسَمَا بالدين الجديد إلى أسمى مراتب الروح، وما موضوع دراستنا، الحديث النبوي، إلَّا واحداً من أبرز وسائله التي اعتمدها في إيصال الشريعة السماوية وتفسيرها، وتنقية المعتقدات الدينية والسموِّ بها، محاولين بدورنا فيما يلي من الصفحات الأخيرة من هذه الدراسة تتبع نماذج من الأحاديث النبوية الوارد ذكرها في كتاب ألف ليلةٍ وليلة وتخريجها، ووفق المنهج العلمي والآلية التي سبق وأنْ بيناها في المقدمة.

١. ضمن حكاية (الحمَّال مع البنات)، التي تبتدئ عند منتصف الليلة التاسعة من الألف ليلةٍ وليلة، وفي الحوار الذي يدور بين بطل هذه الحكاية والعفريت، يقول الأول: "أيُّها العفريت الشديد والبطل الصنديد، إذا كانت امرأة ناقصةُ عقلٍ ودين لم تستحل ضرب عنقي فكيف يحلُّ لي أنْ أضرب عنقها ولم أرها عمري؟" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/٦٣)؛ لنجد ضمن هذا المقطع اقتباسٌ من حديثٍ نبوي، صحيحٌ، متفقٌ عليه، ورد نصه عن أبي سعيد الخدري (ﷺ)، أنَّه قال: " خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ".

وفي تعبيرٍ آخر، وَرد هذا الحديث النبوي وعن الصحابي نفسه، أنَّه قال: "خَرَج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في أضحَى أو فِطر إلى المُصلَّى، فمرَّ على النساء، فقال: يا مَعشَر النساء، ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ للُبِّ الرجُل الحازم مِن إحداكن، قُلنَ: وما نقصان دِيننا وعقلنا يا رسول الله ؟، قال: أليس شهادةُ المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟، قُلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تَصُمْ ؟، قُلنَ: بلى، قال: فذلك من نُقصان دينها" (البخاري، ١٤٢٢هـ: ٢/١٢٠، حديث رقم (١٤٦٢)؛ مسلم، ٢٠٠٧: ٣٩٧-٣٩٨، حديث رقم (٢٠٥٠)؛ البيهقي، ١٩٩١: ٢/١٤٣-١٤٤، حديث رقم (٢١٥٣)).

وقد فَهِم الكثير من ذلك الحديث أنَّ مُراد النبي (ﷺ) هو تقرير نقص القدرات العقلية للمرأة؛ مما أصَّل لدى المسلمين مفهوماً توارثتْه الأجيال من أنَّ المرأة فاقدة الأهلية لإبداء الرأي، بل إنَّ بعضهم بالغ في ذلك، وجعل الحق في خلاف ما تقوله المرأة مطلقاً؛ وهو ما أعطى الفرصة نوعاً ما للمُستشرقين في أنْ يُطالبوا تصريحاً أو تلويحاً بفتح الطريق أمام المرأة؛ لنيل حريتها عِبرَ تنحية الشريعة عن مناحي الحياة؛ ولذا كان لا بُدَّ من وقفاتٍ مع هذا الحديث تُبيِّن الخَلَلَ المفاهيميَّ، الذي وقع فيه كثير من أهل الإسلام، ذلك أنَّ الكثيرين قد مارسوا تطبيقاتٍ عملية لهذا المفهوم في الواقع مَنحَت فرصة للمُغْرِضين بالتحرُّك عِبرَها ضدَّ الإسلام.

٢. ضمن حكاية (مزيِّن بغداد)، التي تبتدئ عند منتصف الليلة الثامنة والعشرون من الألف ليلةٍ وليلة، وخلال الحوار الذي يدور بين بطل هذه الحكاية الذي يكون مستعجلاً في أمره، يستوقفه المُزيِّن (أي: الحلَّاق)، مُستشهداً بقول النبي (ﷺ): "خيرُ الأمور ما كان فيه تأنٍّ" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/١٤٠)، وهو ما لم نجد له أثراً في كتب الصِّحاح والأسانيد مطلقاً، ليكون بذلك من الأحاديث الموضوعة عن النبيِّ (ﷺ) على أنه أحد الأمثلة الواقعية عمَّا ذكرناه آنفاً من تعمُّد بعض الأدباء والقصاصين الوضع والتقول على لسان النَّبي خدمةً لسياق أحداث قصصهم ورواياتهم.

ومن البحث والتنقيب عن أصل العبارة أو الحديث التي نقلها لنا القاص في هذه الحكاية، وجدنا أنَّ لها أصلاً في مصادر الأدب العربي، وهو بيت الشعر القائل:

فخير الأمور السَّالفات على الهدى

وشرُّ الأمور المُحدثات البدائعُ

ومع عدم معرفة قائل هذا البيت، فقد استشهد به العديد من علماء الإسلام ومؤرخيهم على مرِّ العصور، وبصيغ ودلالاتٍ مختلفة في بعض الأحيان، منها ما روي عن الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ/٧١١-٧٩٥م) (ﷺ) أنَّه كان كثيراً ما يتمثَّل بهذا البيت (القاضي عياض، ١٩٨٣: ٢/٣٨؛ المقري، د.ت.: ٥/٣٠٧؛ الشوكاني، ١٩٨٩: ١٧)، وورد في ديوان الشاعر الفقيه المالكي المتأخر ابن مشرف التميمي، مع اختلافٍ بسيط، بقوله (ابن مشرف، د.ت.: ٣٣):

فخير الأمور السَّالفات على الهدى
وشرُّ الأمور المُحدثات فجنبوا

ومما تقدم نعلم أنَّ بيت الشعر هذا كان موجوداً مثبتاً في مصادر الأدب والتاريخ والدين قبل وضع حكايات الليالي، ما يدعم الرأي بإمكانية إطلاع القاصَّ عليه والاقتباس منه، لا بل ونسبه إلى النَّبيِّ المصطفى (ﷺ) كذلك.

٣. ضمن حكاية (الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)، التي تبتدئ عند منتصف الليلة الرابعة والأربعين من الألف ليلةٍ وليلة، وفي المناظرة التي يُقيمها الملك شركان بين الجارية "نزهة الزمان" وقضاته الأربعة والتاجر، لبيان ما وصفت بهِ الجارية من الإلمام بالعِلم والأدب والمعرفة في جميع العلوم، لتبتدئ القول في السياسات والآداب الملكية وما ينبغي لولاة الأمور الشرعية وما يلزمهم من قبل الأخلاق المرضية، مُستشهدةً خلال حديثها بقول النَّبيِّ (ﷺ): "شيئان في الناس إنْ صَلَحَا صَلُحَ الناس وإنْ فَسَدا فَسَدَ الناسُ: العلماء والأُمراء" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/ ٢٤٩).

ورد هذا الحديث النبوي الشريف في عدَّةٍ من مصادر الحديث ومسانيده، موصوفاً بالمرفوع، وقد ضعَّفه غير واحدٍ من رجالات علم الحديث ونقده، والمُلاحظ هنا أنَّ هذا الحديث قد ورد في المصادر المُعتمدة بصيغتين تختلفان كليهما عن الصيغة التي وردت في الليالي، إذ ورد أولاً بصيغة: "صنفان من أُمَّتي إذا صَلحَا صَلَحَ الناسُ، وإذا فَسَدا فَسَدَ الناسُ: السلطانُ والعلماءُ"، والثاني: "اثنان من الناس إذا صَلحَا صَلَحَ الناسُ، وإذا فَسَدا فَسَدَ الناسُ: العلماء والأُمراء" (الصدوق، ١٤٠٣هـ: ١/ ٣٦-٣٧؛ الأصبهاني، ١٩٩٧: ١٤٩-١٥١، حديث رقم (٣٦)؛ ابن عبد البر، ١٩٩٤: ١/ ٦٤١، حديث رقم (١١٠٨-١١٠٩)؛ المناوي، ١٩٧٢: ٤/ ٢٠٩، حديث رقم (٥٠٤٧)؛ الدَّوسري، ١٩٩٣: ٣/ ١٠٢، حديث رقم (٩٠١)). ما يعكس لنا عدم التزام راوي الليالي بنقل الحديث النبوي بصورةٍ دقيقة وأمينة.

٤. ضمن الحكاية السابقة نفسها، وفي الحوار الذي يدور بين الوزير (دندان) والملك ضوء المكان، حينما يبدأ الأول بسرد الحِكَم والمواعظ عن الأولين، يذكر في سياق كلامه حديثاً للنَّبيِّ مُحمَّد (ﷺ)، الذي يقول فيه: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/ ٢٧٤).

في البدء نقول إنَّه بحسب مصادر تخريج الحديث النبوي ومسانده، حديثٌ صحيح، إلَّا أنَّ المُلاحظ هنا الاختلاف البسيط الوارد في التعبير أولاً، واختصار الحديث النبوي، إذ اقتطع راوي الحكاية جزءاً من أصل الحديث، ولعلَّ مردَّ ذلك أنَّه أراد الجزء الذي يخدم سياق حكايته ومطلبها منه، وقد ورد هذا الحديث النبوي الشريف عن عمر الخطَّاب (ﷺ)، أنَّه قال: سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِه، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (البخاري، ١٤٢٢هـ:١/٦، حديث رقم (١)؛ مسلم، ٢٠٠٧: ٩٠٤، حديث رقم (٤٩٠٤)؛ أبو داود، ٢٠٠٧: ٣٥١، حديث رقم (٢٢٠١)؛ ابن ماجة، د.ت.: ٢/ ١٤١٣، حديث رقم (٤٢٢٧)؛ ابن خزيمة، ٢٠٠٣: ١/ ١١١-١١٢، حديث رقم (١٤٢-١٤٣)). مع وجود بعض الاختلاف في التعبير داخل متن هذا الحديث النبوي، والذي لا يخلُّ بالمعنى ولا يغيره، بين مصادر الحديث كذلك.

٥. ضمن الحكاية السابقة نفسها، ومن كلام جاريةٍ تصف فيه الزهد وأخباره للملك ضوء المكان، مبتدئةً برواية الحديث النبوي القائل: "الزاهد مَنْ لَم يَنسَ القبر والبلاء، وآثر ما يَبْقَى على ما يفنى، ولم يَعُدَّ غداً من أيامه، وعدَّ نفسه من الموتى" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/ ٢٧٤-٢٧٥).

لم نصل لهذا الحديث النَّبويِّ إلَّا عند الغزالي، وباختلافٍ واضح في العبارات، إذ أورده على الصورة الآتية: "قال الضحَّاكُ [بن مُزاحم]: قال رجلٌ يا رسول الله من أزهد الناس ؟ قال: "مَنْ لَمْ يَنْسَ القبْرَ والبَلى، وتَرَكَ فَضْلَ زِينَةِ الدُّنيَا، وآثَرَ ما يَبقَى على مَا يَفنَى، ولَمْ يَعُدَّ غداً مِنْ أيَّامِه، وَعَدَّ نَفسَهُ مِنْ أهلِ القُبُور" (الغزالي، ٢٠١١: ٥/ ١٠٤؛ ابن أبي الدنيا، ١٩٩٩: ٦٠-٦١، حديث رقم (١٠٠))، إلَّا أنَّ الترمذي أخرج بمعناه الحديثين التاليين: الأول في كتاب صفة القيامة، عن أسماء بنت عُمَيس الخثعميَّة، قالت: سَمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: "بئسَ العبدُ عبْدٌ تَخَيَّلَ واختَالَ ونَسِيَ الكبيرَ المُتعال، بئسَ العبدُ عَبْدٌ تَجبَّرَ واعتَدَى ونَسِيَ الجَبَّارَ الأَعلى، بئسَ العبدُ عبْدٌ سَهَا ولَهَا ونَسِيَ المَقابرَ والبلَى، بئسَ العبدُ عبْدٌ عَتَا وطَغى ونَسِيَ المُبتدأَ والمُنتهَى، بئسَ العبدُ عبْدٌ يَختلُ الدُّنيا بالدِّين، بئسَ العبدُ عبْدٌ يَختلُ الدِّينَ بالشُّبهات، بئسَ العبدُ عبْدٌ طَمَعٌ يَقودُهُ، بئسَ العبدُ عبْدٌ هَوًى يُضِلُّه، بئسَ العبدُ عبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ"، وقال عنه: "هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفهُ إلَّا من هذا الوجه، وليس إسنادهُ بالقويِّ" (الترمذي، ١٩٩٦: ٤/ ٢٤٠، حديث رقم (٢٤٤٨)). أمَّا الحديث الثاني، فهو عن عبد الله بن مسعود (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): "اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَّ الله حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"، وقال عنه: "هذا حديثٌ غريبٌ إنَّما نعرفهُ من هذا الوجه" (الترمذي، ١٩٩٦: ٤/ ٢٤٦، حديث رقم (٢٤٥٨)).

وما هذا الاقتباس للنصوص الحديثيَّة إلَّا مصداقٌ آخر للنَّهج المتَّبع في كتاب الليالي من عدم الالتزام الدقيق بإيراد النص الحديثي، وانعدام التمحيص والتدقيق في صحَّة ما يُعتمد منها، طالما كان يخدم سياق الحكاية وحبكتها.

٦. ضمن حكاية (العاشق والمعشوق)، التي تبتدئ من الليلة السابعة بعد المائة من الألف ليلةٍ وليلة، وفي الحوار الذي يدور بين الملك سليمان شاه، الذي "كان خالياً من الأولاد والزوجات"، ووزيره، الذي كان "يُقاربه في الصفات من الجودِ والهبات"، ذكر الأول حديثاً للنَّبيِّ (ﷺ)، أنَّه قال: "تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنِّي مباهٍ بكم الأُمم يوم القيامة" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/ ٣٢٢)؛ تعبيراً عن ضيق صدرهِ وعيال صبرهِ وضعف الجَلَدِ منه كونه بلا زوجةٍ ولا ولد.

وهو من الأحاديث التي ضعَّفها الشيخ الألباني (الألباني، د.ت.: ٣٦٥، حديث رقم (٢٤٨٤))، والمُختلف في نصِّ روايتهِ. أخرجه ونقله غير واحدٍ من رجال الحديث المتأخرين على العموم (السبزواري، ١٩٩٣: ٢٧٢، حديث رقم (٥/٧٣٨)؛ ابن أبي جمهور، ١٩٨٤: ٣/٢٨٦، حديث رقم (٢٩)؛ السيوطي، ١٩٩٤: ٤/١٢٩، حديث رقم (١٠٦٢٠))، إذ لم نقف عليه في المصادر المتقدمة.

٧. ضمن الحكاية السابقة نفسها، وفي الحوار ذاتهِ بين الملك سليمان شاه ووزيره، ينقل الراوي على لسان الوزير حديثاً نبوياً، أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: "لا رهبانيَّة في الإسلام" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/٣٢٣). رغبةً منه في حثِّ الملك على الزواج.

وللإجابة حول صحَّة هذا الحديث، نقول إنَّه على من ذكرهِ من قبل بعض المُصنِّفين الكبار في كتبهم، إلَّا أنَّ مثل هكذا حديثٍ نبويٍّ لم يرد بهذا اللفظ تحديداً في مصادر الحديث والسُنن، إلا أن هناك عدَّة أحاديث وردت في معناه، منها ما رواه الإمام أحمد (ﷺ) عن أبي سعيدٍ الخدري (ﷺ)، أنَّه قال: قال رسول الله (ﷺ): "أوصيكَ بتقوى الله فإنَّه رأسَ كلِّ شيءٍ، وعليك بالجهاد فإنَّه رهبانيَّة الإسلام..." (ابن حنبل، ٢٠٠٠: ١٠/٢٥٧-٢٥٨، حديث رقم (١١٧١٣))، وما رواه، أيضاً، عن أنس بن مالك (ﷺ)، عن النَّبيِّ (ﷺ)، قال: "لكلِّ نبيٍّ رهبانيَّة، ورهبانيَّة هذهِ الأُمَّة الجهاد في سبيل اللهِ عزَّ وجلَّ" (ابن حنبل، ٢٠٠٠: ١١/٢٧٨، حديث رقم (١٣٧٤٢)).

كما روى البيهقي عن أبي أُمامة (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): "تزوجوا فإنِّي مُكاثرٌ بكم الأُمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانيَّة النصارى" (البيهقي، ١٩٩١: ٧/١٢٥، حديث رقم (١٣٤٥٧))، كما نقل الطبراني عن سعيدٍ بن العاص، أنَّ رسول الله (ﷺ) قال، وهو يحاور عثمان بن مظعون (ﷺ): "يا عثمان، إنَّ الله قد أبدلنا بالرهبانيَّةِ الحنفيَّةَ السَّمحة والتَّكبير على كُلِّ شرفٍ، فإنْ كنت منَّا فاصنَع كما نصنعُ" (الطبراني، د.ت.: ٦/٦٢، حديث رقم (٥٥١٩)؛ الكليني، ١٣٦٥هـ.ش.: ٥/٤٩٤).

تؤكِّد النصوص السابقة لنا أنَّ معنى الحديث صحيح، إذ (الرهبانية) تتضمَّن عدَّة عناصر أساسية، كلُّها يرفضها الإسلام، وهذهِ العناصر هي: الانقطاع الكامل للتعبُّد، والامتناع الدائم عن الزواج، والإعراض عن عِمارة الأرض، والعمل للدنيا والمعيشة. والإسلام يرفض هذهِ المعاني؛ لأنَّه يقوم على فكرة التوازن بين الروحية والمادية، وبين الدنيا والآخرة، وبين حقِّ الربِّ وحظِّ النفس، وبين المثالية والواقعية، وقد بيَّن القرآن الكريم أنَّ النصارى قد ابتدعوا الرهبانيَّة من عند أنفسهم، كما قال الله (ﷻ): ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (سورة الحديد، آية: ٢٧).

ومن هذا النموذج من النصوص الحديثيَّة الواردة في كتاب الليالي، نستشفُّ مرةً أخرى عدم التزام صاحبهِ باعتماد المصادر الأساسية في رواية الحديث النبوي الشريف وتخريجه، وأنَّ نقله وتثبيته في ثنايا الكتاب يكون دوماً من غير تمحيص وتدقيق، سواءٌ من حيث صحَّة الحديث الذي ينقله أم من حيث المصدر الذي ينقل عنه.

٨. ضمن حكاية (العاشق والمعشوق) نفسها، ينقل لنا صاحب كتاب الليالي حديثان نبويان يُشيران إلى أهمية مساعدة المسلم أخاه المسلم، والتنفيس عن المكروب، هما، أنَّ رسول الله (ﷺ)، قال: "من نفَّس عن مكروبٍ كُربةً من كُربِ الدنيا، نفَّس الله عنه كُربةً من كُربِ الآخرة"، والحديث الآخر: "من نفَّس عن أخيه كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نفَّس الله عنه اثنتين وسبعين كُربة من كُربِ يوم القيامة" (ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٩: ١/٣٤٧).

وإنَّ ما يمكن أنْ يُقال بحقِّ هذين الحديثين الشريفين، أنَّهما صحيحان مُجمَعٌ عليهما، على الرغم من تشكيل البعض بإسنادهِ، مع اختلاف التعبير بينهما؛ فقد أخرجهما ونقلهما جمعٌ من رجال الحديث وعلماءِ الكبار (الصنعاني، ١٩٨٣: ١٠/٢٢٨-٢٢٩، حديث رقم (١٨٩٣٦)؛ ابن حنبل، ٢٠٠٠: ٧/٢٢٩-٢٣٠، حديث رقم (٧٤٢١)؛ مسلم، ٢٠٠٧: ١٢٢٣، حديث رقم (٦٧٩٣)؛ ابن أبي الدنيا، ٢٠٠٢: ٢٤-٢٥، حديث رقم (١١)؛ الطبراني، د.ت.: ١٩/١٥٨، حديث رقم (٣٥٠)).

وبهذا نكون قد أنهينا دراستنا بهذهِ المجموعة المُختارة من الأحاديث النبوية التي وردت في الجزء الأول من كتاب (ألف ليلة وليلة)، لتكون بمثابة مثالٍ واضح لطبيعة استخدام راوي حكاياتهِ للنصوص الحديثيَّة وتوظيفها في متن قصصه، دعماً لحبكة النص. وكما أشرنا سابقاً، فإننا بهذهِ الدراسة إنَّما أردنا أنْ نؤسِّس لمجالٍ بحثيٍّ جديد يُعنى بتنقية كتب الأدب العربي ممَّا ورد فيها من نصوصٍ حديثيَّة وتخريجها بالصورة العلمية المُتعارف عليها وفق منهج نقد الحديث الشريف.

الخاتمة:

عشنا في رحاب الهدي النَّبوي العظيم، ونهلنا من فيضهِ المعين، حِكَماً تُنير الدرب أمامنا وأمام الدارسين، مؤكدين ومتأكدين بأنَّه أصلٌ منيع من أصول الاحتجاج البلاغي في تقعيد قواعد البلاغة العربية، لتزداد البلاغة شرفاً بجزيل قول سيد الأشراف (ﷺ)، من بلاغتهِ وفصاحتهِ التي فاقت قمَّة الإبداع بجزالة لفظها، ودقَّة معانيها، وجمال نظمها، هذهِ الكنوز والأسرار البلاغية الجمالية نهلناها من فيض هدي خير البرية (ﷺ) لنزداد جزماً، ويقيناً أنَّه الأصل الثاني بعد القرآن الكريم.

ولعلَّ من أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال مادة المبحث الأول من هذهِ الدراسة، التي تتعلَّق بأثر الحديث النبوي في اللغة والأدب، ما يمكن إيجازه بالنقاط الآتية:

١. مُساهمة الحديث النبوي – مع القرآن الكريم – في حفظ اللغة العربية وانتشارها في الأمصار التي انضوت تحت راية الإسلام.
٢. مُساهمته في ابتكار ألفاظ دينية وتشريعية وفقهية لم تكن مستعملة في الجاهلية، فاتَّسعت بفضلهِ اللغة العربية مادةً ومضموناً.
٣. إدخال الرسول (ﷺ) كثيراً من الألفاظ والتراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية.
٤. ساعد على ابتكار بعض العلوم الدينيَّة ونشرها، ومنها: علم الحديث وتفسيره وغريبه ومُصطلحه.
٥. العناية بفصاحة اللفظ والبُعد عن الحوشي والغريب، فرقَّت

الأساليب وعَذُبت وسَلُمَت.

٦. القضاء على سجع الكُهَّان، ورفع منزلة النثر، وتهذيب أغراض الأدب وفنونه.

٧. تعاقب العلماء على دراستهِ وتفسيرهِ من مختلف الأمصار وعلى مدى العصور، ممَّا كان له الأثر الكبير في التشريع الإسلامي.

٨. تأثُّر الخطباء والكُتَّاب والشعراء بهِ، مقتبسين منه محاولين السير على نهجهِ.

أمَّا أبرز ثمرات المبحث الثاني من دراستنا، فهي:

١. المادة الحديثيَّـة في كتاب ألف ليلةٍ وليلة، يرد فيها من الضعاف والموضوعات والغرائب، كما يرد – في المقابل - الصِّحاح والموثوقات منها؛ الأمر الذي يُشين الكتاب عند علماء الحديث خاصةً، قال أحمد بن حنبل (ﷺ): "لا تكتبوا هذهِ الأحاديث الغرائب فإنَّها مناكير وعامَّتها عن الضعفاء"، وقال مالك بن أنس (ﷺ): "شر العِلم الغريب، وخير العِلم الظـاهر الذي قد رواه الناس"، وقال عبد الرزاق بن همام الصَّنعاني: "كنا نرى أنَّ غريب الحديث خير فإذا هو شر".

٢. كثرة المُعلَّقات ونُدرة المسانيد بكتب الأدب، خصوصاً المتأخرة منها، والسبب في ذلك أنَّ هذهِ الكتب ألَّفها أصحابها للدعابة والفكاهة والإطراف، لا من أجل التحقيق والتدقيق في المسائل العلمية، وقد صرَّح بعضهم بذلك.

٣. تساهل الأدباء في إيراد الأحاديث دون رويةٍ أو تثبُّت، ولَيْتَهُمْ أسندوها كما يفعل بعضهم، ومنهم أبو علي القالي (٢٨٨-٣٥٦هـ/٩٠١-٩٦٧م) في كتابهِ (الأمالي)، فيَسْلَمون من المسؤولية ويُلقونها على عاتق الإسناد؛ عملاً بالمقولة الشهيرة: مَن أسنَدَ لك فقد أحالَك.

٤. كتب الأدب بصفةٍ عامة مهملة من الجانب الحديثي تخريجاً وتمحيصاً، ولعلِّي بهذا العمل أكون قد سددت ثلمة في ميدان البحث العلمي.

٥. الاستشهاد بالحديث النبوي في كتاب ألف ليلةٍ وليلة له نُكت كثيرة في كتابتهِ، منها: المُحاجَّة، والتوجيه، والتوضيح والتفسير، والتأديب والوعظ، وهكذا.

المراجع

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، فضيلة العادلين من الولاة ومن أنعم النظر في حال العمَّال والسعاة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض، دار الوطن.

الألباني، مُحمَّد ناصر الدين (ت١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، د.ت.، الرياض، المكتب الإسلامي.

ألف ليلة وليلة، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ط٣، بيروت، دار المعرفة.

البخاري، أبو عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، ١٤٢٢هـ، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة.

بلَّا، شارل (١٩١٤-١٩٩٢م)، ١٩٩٧، تاريخ اللغة والآداب العربية، ترجمة: رفيق ابن ونَّاس وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، كراتشي – باكستان، جامعة الدراسات الإسلامية.

الترمذي، أبو عيسى مُحمَّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، ١٩٩٦م، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

ثابت، سعيد بن علي، ١٤١٧هـ الجوانب الإعلامية في خطب الرسول (ﷺ)، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، ١٩٩٨م، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٧، القاهرة، مكتبة الخانجي.

الجُمَحي، أبو عبد الله مُحمَّد بن سلَّام بن عبيد الله البصري (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، طبقات الشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن أبي جمهور، مُحمَّد بن علي بن إبراهيم الإحسائي (توفِّي بعد ٩٠١هـ/١٤٩٦م)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينيَّة، تحقيق: آغا مجتبى العراقي، قم، مطبعة سيد الشهداء.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحمَّد الشيباني الذُّهلي (ﷺ) (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مُسنَد الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

الخراساني، عبد الله بن مُحمَّد البشروي (ت١٠٧١هـ/١٦٦١م)، ١٤١٥هـ الوافية في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسين الرضوي، ط٢، قم، مجمع الفكر الإسلامي.

ابن خزيمة، أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق السُّلمي النيسابوري (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط٣، الرياض، المكتب الإسلامي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، سُنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، اصطناع المعروف، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار ابن حزم.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، كتاب الزهد، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، دار ابن كثير.

الدَّوسري، أبو سليمان جاسم بن سليمان الفُهَيد، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، الروض البسَّام بترتيب وتخريج فوائد تمام، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

الدينوري، أبو عبد الله ابن قتيبة مُحمَّد بن مُسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨م)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد الإسكندراني، ط٥، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن رشيق، أبو علي الحسن الأزدي القيرواني (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، بيروت، دار الجيل.

أبو زهرة، محمد، (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م). الخطابة.. أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، القاهرة، مطبعة العلوم.

زيدان، جرجي، د.ت.، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، دار الهلال.

السبزواري، مُحمَّد بن مُحمَّد (توفِّي ق٧هـ/ق١٣م)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق: علاء آل جعفر، بيروت، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن مُحمَّد سابق الدين الخضيري الأسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، جامع الأحاديث.. الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير، تحقيق: عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد، بيروت، دار الفكر.

شاكر، محمود محمد، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلَّام، القاهرة، المؤسَّسة السعودية بمصر.

الشوكاني، بدر الدين مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد (ت١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، التحف في مذاهب السَّلف، تحقيق: سيد عاصم علي، طنطا – مصر، دار الصحابة للتراث.

الصدوق، مُحمَّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩٢م)، ١٤٠٣هـ، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم.

صفوت، أحمد زكي، (١٣٥٢هـ/١٩٢٣م)، جمهرة خُطب العرب في عصور العربيَّة الزاهرة، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت٢١١هـ/٨٢٧م)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، المُصنَّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، جوهانسبيرغ – جنوب أفريقيا، المجلس العلمي.

ضيف، شوقي، ١٩٦٣م، تاريخ الأدب العربي.. العصر الإسلامي، ط٣، القاهرة، دار المعارف.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/٩٧١م)، د.ت.، المُعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السَّلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله الأندلسي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، جامع بيان العلِم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الرياض، دار ابن الجوزي.

عصفور، جابر، (٢٠٠٥). غواية التراث، وزارة الإعلام، الكويت، سلسلة كتاب العربي، ع٦٢.

الغزالي، أبو حامد مُحمَّد بن مُحمَّد (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، إحياء علوم الدين، تحقيق: محمد بن عبد الملك الزغبي، القاهرة، دار الغد الجديد.

القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط٢، مراكش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية.

القلماوي، سهير، (١٩٧٦)، ألف ليلة وليلة، ط٤، القاهرة، دار المعارف.

الكُليني، أبو جعفر مُحمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ/٩٤١م)، ١٣٦٥هـ.ش.، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلامية.

ابن ماجة، أبو عبد الله مُحمَّد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، د.ت.، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

مسلم، أبو الحُسين بن الحجَّاج بن مُسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، صحيحُ مسلم، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، بيروت، دار المعرفة.

ابن مشرف، أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي (ت١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، د.ت.، ديوان ابن مشرف، ط٤، الإحساء، مكتبة الفلاح.

المقري، أبو العباس أحمد بن مُحمَّد التلمساني المالكي (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، د.ت.، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

المناوي، مُحمَّد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ/١٦٢٢م)، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، فيض القدير شرح الجامع الصغير (للسيوطي)، ط٢، بيروت، دار المعرفة.